فقد فاز واكد ذلك بقوله تعالى فوزا عظيما اي ظفر بجميع مراده انه يعيش في
الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا ولما ارشد الله تعالى المومنين الى مكارم
الاخلاق وادب النبي صلى الله عليه وسلم باحسن التكليف الاداب
بين ان التكليف الذي وجهه الله تعالى الى الانسان امر عظيم بقوله تعالى
انا عرضنا الامانة واختلف في هذه الامانة المعروضة فقال ابن عباس
اراد بالامانة الطاعة من الفرايض التي فرضها الله تعالى على عباده عرضها
على السموات والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم
وقال ابن مسعود الامانة ادا الصلوات وايتا الزكوات وصوم
رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال
والميزان واشد من هذا كله الودايع وقال مجاهد الامانة الفرايض
وحدود الدين وقال ابو العالية ما امروا به ونهوا عنه وقال
زيد بن اسلم هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرايع
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان
فرجه وقال هذه امانتي استودعتكها فالفرج امانة والاذن
امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة
له وقال بعضهم هي امانة الناس والوفا بالعهود فحق على كل مومن
ان لا يغش مومنا ولا معاهدا في شي قليل ولا كثير وهي رواية
الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين واكثر السلف ان الله تعالى
عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فقال لهن اتحملن
هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها فقال ان احسنتن جوزيتن
وان عصيتن عوقبتن فابين على عظيم اجرامها وقوة اركانها وسعة
ارجايها ان يحملنها اي وقلن يا رب نحن مسخرات بامرك لا نريد ثوابا
ولا عقابا واشفقن منها اي وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما
لله تعالى ان لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة وكان العرض عليهم
تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها فالجمادات كلها خاضعة
لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال تعالى للسموات والارض ايتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقال في الحجارة وان منها لما يهبط من
خشية الله وقال تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب الاية وقال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن
العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن
وقال بعضهم المراد بالعرض على السموات والارض هو العرض على اهل
السموات والارض عرضها على من فيها من الملايكة كقوله تعالى واسيل القرية
اي اهلها وقيل المراد المقابلة اي قابلنا الامانة مع السموات والارض

والجبال

والجبال فرجحت الامانة قاله البغوي والاول اصح وهو قول اكثر العلماء
تنبيه قوله تعالى فابين اي بضمير هذه كضمير الاناث لان جمع التكسير
غير العاقل يجوز فيه ذلك وان كان ذكر ذلك لا يتوهم انه قد غلب المونث
على المذكر وهو الجبال فان قيل ما الفرق بين ابايهن وابا ابليس في قوله ابى
ان يكون مع الساجدين اجيب بان الابا هناك كان استكبارا لان
السجود كان فرضا وههنا استصغارا لان الامانة كانت فرضا وانما
امتنعن خوفا كما قال تعالى واشفقن منها اي خفن من الامانة ان لا
يوديها فيلحقهن العقاب وحملها الانسان اي ادم قال تعالى لادم
اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت
اخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت
وان اسات عوقبت فتحملها ادم عليه السلام وقال بين اذني وعاتقي
فقال تعالى اما اذا تحملت فسا عينك اجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت
ان تنظر الى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فاذا
خشيت فاغلق واجعل لفرجك سترا فاذا خشيت فلا تكشفه على
ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ما اخرج
من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وحكى النقاش عن ابن مسعود
انه قال مثلت الامانة بصخرة ملقاة ودعيت السموات والارض
والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطيق حملها وجاء ادم من غير
ان دعي وحرك الصخرة وقال لو امرت بحملها لحملتها فقلن احمل
فحملها الى ركبتيه ثم وضعها وقال لو اردت ان ازداد لزدت
فقلن له احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فاراد ان يضعها فقال له الله
تعالى مكانك فانها في عنقك وعنق ذريتك الى يوم القيمة انه كان ظلوما
جهولا قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا بامر الله تعالى وما احتمل
من الامانة وقال الكلبي ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري
ما العقاب في ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة
ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من اهل المعاني في قوله تعالى وحملها الانسان قولا
اخر فقالوا لو ان الله تعالى ايتمن ادم واولاده على شي وايتمن السموات والارض ص
والجبال على شي فالحق بني ادم ما ذكرنا من الطاعة فالقيام بالفرايض
والامانة في حق السموات والارض والجبال هي الخضوع والطاعة
لما خلقن له وقوله تعالى فابين ان يحملنها اي ابين ان يحملن الامانة يقال
فلان حمل الامانة اي اثم فيها بالخيانة قال تعالى وليحملن اثقالهم
انه كان ظلوما جهولا حكي عن الحسن على هذا التاويل انه قال وحملها
الانسان يعني الكافر والمنافق حملا الامانة اي خانا والاول قول السلف

Copyright © King Saud University